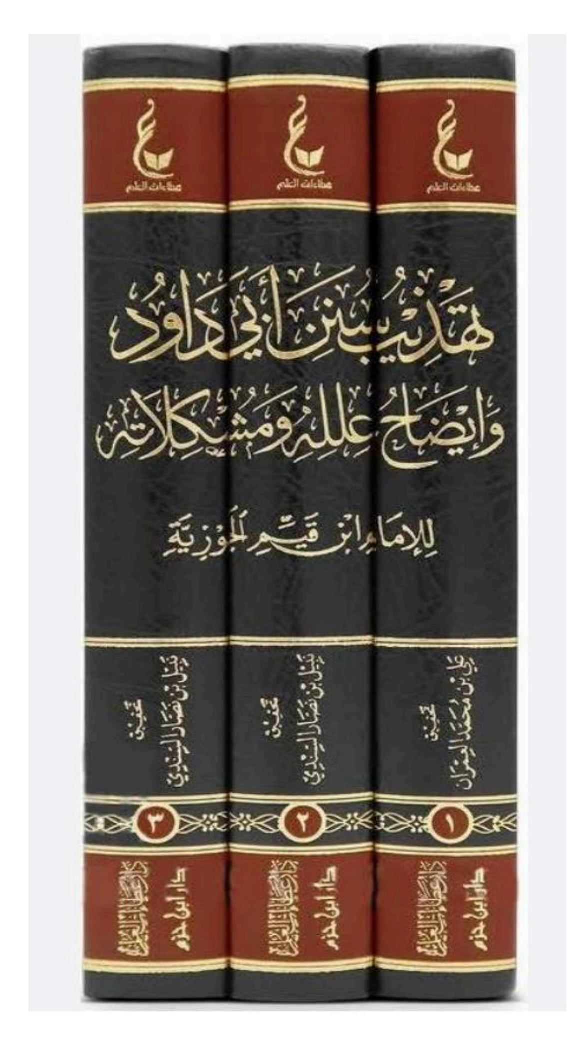
تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته



المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)

كشاف الكتاب

مؤلفه شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن القيم الجوزية الإمام المحقق المحدث الفقيه المشهور.

تهذيب سنن أبي داود لابن القيم ليس بشرح حقيقة؛ لكنه لا يستغني عنه من يعنى بسنن أبي داود، فهو كتاب من أنفس الكتب في بيان علل الأحاديث، أشبه ما يكون بكتب العلل، كلامه منصب على بيان علل الأحاديث، بنفس الأئمة الكبار المتقدمين، إذا عرض لحديث قيم جميع ما قيل فيه، وما فيه من علل، وكثير منها من استنباطاته وإدراكه للعلل ومآخذها، فهو إمام في هذا الباب، يتكلم عن علل حديث واحد في عشرين أو ثلاثين صفحة، يسيل واديه، كما يقال: حتى يملأ الخوابي، ويبلغ الروابي -رحمة الله عليه-.

جاء في مقدمته من كلام ابن القيم -رحمه الله-: "وكان الإمام العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري -رحمه الله تعالى- قد أحسن في اختصاره وتهذيبه، وعزو أحاديثه، وإيضاح علله وتقريبه، فأحسن حتى لما يدع للإحسان موضعاً، وسبق حتى جاء من خلفه له تبعاً"، يقول: "لذلك جعلت كتابه من أفضل الزاد، واتخذته ذخيرةً ليوم المعاد، فهذبته نحو ما هذب هو به الأصل، وزدت عليه من الكلام على عللٍ سكت عنها، أو لم يكملها، والتعرض على تصحيح أحاديث لم يصححها، والكلام على متون مشكلة لم يفتح مقفلها، وزيادة في أحاديث صالحة في الباب لم يشر إليها"، يقول: "وبسطت الكلام على مواضع جليلة لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتابٍ سواه"، إلى أن قال: "فأنا أبرأ إلى الله من التعصب والحمية، وجعل سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تابعةً لآراء الرجال، منزلةً عليها مسوقةً إليها".

الكتاب أشبه مثلما ذكرت أن يكون كتاب علل، يعلل الأحاديث ويستطرد ويطيل في ذلك، فهو إمام في هذا الباب، وأيضاً له تعليقات نفيسة في بعض المسائل الفقهية، وله أيضاً نفس طويل في بعض المسائل مثل طلاق الحائض، وطلاق الثلاث، وغير ذلك من المسائل بحثها في عشرات الصفحات، فهو مرجع في مثل هذه المسائل، لا يستغني عنه طالب علم، إضافةً إلى إمامة مؤلفه ورسوخ قدمه، وشدة اتباعه للنصوص، والله أعلم.

وقد سئل الشيخ:

ما رأيكم في كتاب (تهذيب السنن) لابن القيم؟

الجواب

كتاب (تهذيب السنن) للإمام العلامة ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، هذا التهذيب قد يفهم منه بعض الناس أنه اختصار لـ(سنن أبي داود)، وحقيقته أنه تعليق على (سنن أبي داود) على أسانيده ومتونه، وهو كتاب فيه إبداع، وفيه مهارة، ورسوخ قدم في الحديث وعلومه وعلله، فأكثره تعليل للأحاديث، وابن القيم يسهب في بيان علل الأحاديث في هذا الكتاب، وأبدى براعة فائقة وتفوقًا في هذا الفن، وهو في الحقيقة كتاب علل، وكتاب تحرير لمسائل علمية دقيقة شائكة، فبحث بعض المسائل في هذا الكتاب في صفحات كثيرة، وبحث علل بعض الأحاديث وأطنب فيها وأفاض، مما يدل على أنه إمام في هذا الشأن، فهذا الكتاب نافع جدًّا لطالب العلم لا يستغني عنه طالب علم، لاسيما وأن الكتاب يدور حول (سنن أبي داود) الذي هو في أحاديث الأحكام، والكتاب مطبوع مع (مختصر أبي داود) للمنذري، وشرحه للخطابي، وتهذيبه لابن القيم، والمجموعة من ثلاثة الكتب مجموعة تنبغي العناية بها من طلاب العلم؛ لأن مختصر المنذري فيه تنبيهات ولطائف على أسانيد الأحاديث وعلى أحكامها، والمنذري إمام في هذا الباب، والشرح شرح الخطّابي (معالم السنن) من أفضل ما كتب على (سنن أبي داود) على اختصاره، ويكاد أن يكون أول الشروح، والخطابي معروف تميزه في هذا الباب، إضافة إلى (تهذيب السنن) للإمام ابن القيم، وقد أحسن من جمع هذه الكتب الثلاثة، وطُبعت طبعة جيّدة تولاها الشيخ محمد حامد الفقي والشيخ أحمد شاكر في بعض مواضعها، والكتاب نفيس جدًا، يحرص عليه طالب العلم بمجموع ما فيه من المختصر والشرح والتهذيب، فالمختصر للمنذري في رأس الصفحة، يليه في الحقل الثاني الشرح للخطابي، والحقل الأخير التهذيب لابن القيم، طُبع التهذيب مرة ثانية في حواشي (عون المعبود) لشمس الحق العظيم آبادي في المطبعة السلفية في المدينة في أربعة عشر جزءًا، لكن الطبعة الأولى تولى تحقيقها وتصحيحها والعناية بها الشيخ حامد الفقي وشاركه الشيخ أحمد شاكر في بعض المواضع، وهما من أهل التجويد بالنسبة لمن تولى الطبعة السلفية؛ لأنه ليس من أهل الشأن، عبد الرحمن محمد عثمان ليس

من أهل الشأن، بل فيها تصحيفات، اعتمد في (عون المعبود) على الطبعة الهندية، والطبعة الهندية بالخط الفارسي، اللغة عربية لكن الخط فارسي، وهو لا يحسن قراءتها في كثير من المواضع، فترتب على ذلك تصحيف في جميع مطبوعاته -عبد الرحمن محمد عثمان- (عون المعبود) (تحفة الأحوذي) (فتح المغيث) للسخاوي وغيرها من الكتب، المقصود أنه إذا تولى الإنسان وهو من غير أهل الاختصاص لا شك أنه يسيء إلى الكتب، فيُعنى بطبعة الشيخ حامد مع الشيخ أحمد شاكر؛ لأنها طبعة مصححة متقنة مضبوطة، ومثل ما قلنا عن (تهذيب السنن): إنه كتاب لا يستغني عنه طالب علم، والله أعلم.

ويكيفيديا

كتاب تهذيب سنن أبي داود صَنَّفَه محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 833 هـ)، وهو من الكتب التي خدمت كتاب: «سنن أبي داود»، اعتنى المؤلف في الكتاب بعلم علل الحديث تصحيحًا وتضعيفًا، وباستنباط الأحكام الفقهية، وتحرير مسائل الخلاف، والجمع بين الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

وأصل هذا الكتاب: تهذيب لـ«مختصر سنن أبي داود» للمنذري، فقد أتى عليه من أوله إلى آخره مهذبًا ومختصرًا، ومضيفًا إليه ومستدركًا عليه، كما شرح فيه كثيرًا من أحاديث سنن أبي داود وبين عللها ورجالها، كما حرر الأحكام الشرعية المستنبطة منها، ويغلب على مباحثه علم علل الحديث وعلم الفقه، مع مباحث في علم الأصول والقواعد واللغة والحديث والتاريخ.

ومما يزيد من أهمية الكتاب: أن ابن القيم من علماء المسلمين المهتمين بعلم الحديث ورجاله وعلله، يقول عنه الذهبي: «وعني بالحديث ومتونه ورجاله، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وفي النحو ويدريه وفي الأصلين».

إلا أن كتاب ابن القيم لم يصلنا كما تركه مؤلفه، بل الذي وصل هو تجريده الذي صنعه محمد بن أحمد السعودي، حيث جرد كلام المؤلف الذي زاده على كلام المنذري في «مختصره»، وله طبعات عديدة، وأبرزها: طبعة دار عطاءات العلم في ثلاثة مجلدات.

زمن تأليف الكتاب

ابتدأ تأليفه في رجب سنة 732هـ، وانتهى منه في آخر شوال من السنة نفسها. قال ابن القيم: «ووقع الفراغ منه في الحجر شرفه الله تعالى، تحت ميزاب الرحمة في بيت الله، آخر شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وكان ابتداؤه في رجب من السنة المذكورة».

الموضوع العام للكتاب

الكتاب تهذيب لـ«مختصر سنن أبي داود» للمنذري (ت: 656هـ). حيث إنَّ المؤلف إبّان إقامته بمكة المكرمة أتى على هذا المختصر من أوله إلى آخره مهذبا ومختصرا، ومضيفا إليه ومستدركا عليه، يقول ابن القيم: «فهذبته [أي: مختصر المنذري] نحو ما هذب به الأصل، وزدت عليه من الكلام على علل سكت عنها أو لم يكملها، والتعرض إلى تصحيح أحاديث لم

يصححها، والكلام على متون مشكلة لم يفتح مقفلها، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يشر إليها، وبسط الكلام على مواضع جليلة لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه».

وقد شرح فيه مؤلفه كثيرًا من أحاديث سنن أبي داود وبين عللها ورجالها، كما حرر الأحكام الشرعية المستنبطة منها، يغلب على مباحثه علم علل الحديث وعلم الفقه، مع مباحث في علم الأصول والقواعد واللغة والحديث والتاريخ.

تجريد التهذيب

لم يصل كتاب ابن القيم إلينا كما كتبه، وإنما وصل إلينا تجريده الذي صنعه محمد بن أحمد السعودي، ويتميز هذا التجريد بالآتي:

1. أنه أخذ ما زاده ابن القيم على كلام المنذري، مع سقط قليل من كلام ابن القيم.
2. ذكر من كلام المنذري ما قوي اتصاله بكلام ابن القيم فلم يمكن فهمه إلا بذكره عقبه.
3. نقل السعودي مقدمة وخاتمة ابن القيم لتهذيبه بتمامه.

منهجه في الكتاب

1. يبدأ ابن القيم غالبا بما ذكره المنذري من تخريج الحديث والكلام على علله باختصار وتصرف، ثم يضيف إليه ما يقتضيه المقام من الشرح والاستدراك والتذييل. وقد يأخذ بعض ما ذكره المنذري في شرح الحديث فيضمنه كلامه مع الزيادة والتحرير، ويسوق ذلك كله مساقا واحداً دون تمييز لما زاده. وقد يصرح المؤلف بنسبة بعض الكلام إلى المنذري إذا لم يرتضه، أو أراد أن يتعقبه، أو كان من استقراء المنذري لئلا ينسبه إلى نفسه.
2. العناية في كثير من الأبواب بالجمع بين الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.
3. تحرير مسائل الخلاف وذكر أدلتها والترجيح بينها.

مميزات الكتاب

يتميز كتاب تهذيب سنن أبي داود بالمميزات التالية:

1. ذكر علل الأحاديث والكلام عليها تصحيحا وتضعيفا، على طريقة أئمة الحديث في النقد والتعليل والتصحيح مع التنبيه على خطأ طريقة الفقهاء المتأخرين في عدم التفاتهم إلى العلل.
2. تحرير المسائل المختلف فيها بين الفقهاء وذكر مآخذهم ومناقشة أدلتهم.
3. ما فيه من البحوث الفقهية والعقدية والحديثية التي أطال المؤلف فيها النَّفَس فأسهب في المناقشة والتقرير والاستدلال والترجيح والتحرير.
4. العناية بالجمع بين الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

5. ما حفظ من أسانيد الحديث وروايات أحمد بن حنبل، وأقوال ابن تيمية التي لم تصل إلينا.

موقع شيخ الإسلام الإمام ابن قيم الجوزية

تهذيب سنن أبي داود

نبذة عن الكتاب: هذا الكتاب هو تهذيب لـ: "مختصر سنن أبي داود" للإمام المنذري رحمه الله، وموضوع الكتاب: بيان عِلل الحديث، ويشتمل على فوائد حديثية وفقهية نفيسة.

يقول ابن القيم رحمه الله في المقدمة: "ولما كان كتاب "السنن" لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني من الإسلام بالموضع الذي خصّه الله به، بحيث صار حَكَمَاً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحقّون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتّبها أحسن ترتيب، ونَظَمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطِّراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء.

وكان الإمام العلامة الحافظ: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذريّ رحمه الله تعالى قد أحسن في اختصاره وتهذيبه، وعزو أحاديثه، وإيضاح علله وتقريبه، فأحسن حتى لم يكد يجعل للإحسان موضعاً، وسَبَق حتى جاء من خَلْفَه له تبعاً؛ جعلتُ كتابه من أفضل الزاد، واتخذته ذخيرة ليوم المعاد.

فهذّبته نحو ما هذّب هو به الأصل، وزدت عليه من الكلام على عِللٍ سكت عنها أو لم يكملها، والتعرض إلى تصحيح أحاديث لم يصحّحها، والكلام على متون مشكلة لم يفتح مُقفلها، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يُشر إليها، وبَسْطِ الكلام على مواضع جليلة لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه، فهي جديرة بأن تُثْنى عليها الخناصر، ويُعضّ عليها بالنواجذ".

نبذة من مقدمة الكتاب

أما بعد، فإن أولى ما صُرِفت إليه العناية، وجرى المتسابقون في ميدانه إلى أفضل غاية، وتنافس فيه المتنافسون، وشمَّر إليه العاملون: العلمُ الموروث عن خاتم المرسلين ورسولِ رب العالمين، الذي لا نجاة لأحدٍ إلا به، ولا فلاح له في دارَيه إلا بالتعلّق بسببه، الذي من ظفِر به فقد فاز وغَنِم، ومن صُرِف عنه فقد خَسِر وحُرِم؛ لأنه قُطبُ السعادة الذي مدارها عليه، وآخِيةُ الإيمانِ الذي مرجعه إليه، فالوصول إلى الله وإلى رضوانه بدونه مُحال، وطلب الهدى من غيره هو عين [ق ٢] الضلال.

وكيف يوصَل إلى الله من غير الطريق التي جعلها هو سبحانه موصلةً إليه، ودالَّةً لمن سلك فيها عليه، وبعث رسولَه بها مناديًا، وأقامَه على أعلامها داعيًا، وإليها هاديًا؟! فالباب عن السالك في غيرها مسدود، وهو عن طريق هداه وسعادته مصدود، بل كلما ازداد كدحًا واجتهادًا، ازداد من الله طردًا وبِعادًا؛ ذلك بأنه صدَفَ عن الصراط المستقيم، وأعرض عن

المنهج القويم، ووقف مع آراء الرجال، ورضي لنفسه بكثرة القيل والقال، وأخلد إلى أرض التقليد، وقنع أن يكون عيالًا على أمثاله من العبيد؛ لم يسلك من سبل العلم مناهجَها، ولم يرتَقِ في درجاته معارجَها، ولا تألَّقت في خَلَده أنوارُ بوارقه، ولا بات قلبُه يتقلّب بين رياضه وحدائقه، لكنه ارتضع من ثدي من لم يَطْهُر بالعصمة لَبانُه، وورد مشربًا آجنًا طالما كدّره قلبُ الوارد ولسانُه، تضجّ منه الفروج والدماء والأموال إلى من حلَّل الحلالَ وحرّم الحرام، وتعجّ منه الحقوق إلى مُنزِل الشرائع والأحكام.

فحقٌّ على من كان في سعادة نفسه ساعيًا، وكان قلبه حيًّا واعيًا، أن يَرغب بنفسه عن أن يجعل كدَّه وسَعْيه في نُصرة من لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا، وأن لا ينزلها في منازل الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

فإنَّ لله يومًا يخسر فيه المبطلون، ويربح فيه المُحِقُّون، (يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) [الفرقان: ٢٧]، (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) [الإسراء: ٧١]. فما ظنُّ مَن اتخذ غيرَ الرسول إمامَه، ونبذَ سنَّتَه وراء ظهره وجعل خواطرَ الرجال وآراءَها بين عينيه وأمامَه، فسيعلم يومَ العرضِ أيَّ بضاعةٍ أضاع، وعند الوزن ماذا أحضرَ مِن الجواهر أو خُرْثيّ المتاع!

فصل

ولما كان كتاب «السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِستاني من الإسلام بالموضع الذي خصَّه الله به، بحيث صار حَكَمًا بين أهل الإسلام، وفصلًا في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحقّون (١)؛ فإنه جَمَع شمل أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونَظَمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطّراحه منها أحاديثَ المجروحين والضعفاء.

وكان الإمام العلامة الحافظ: زكيُّ الدين أبو محمد عبد العظيم المُنذريّ رحمه الله تعالى قد أحسن في اختصاره وتهذيبه، وعزو أحاديثه، وإيضاح علله وتقريبه، فأحسن حتى لم يكد يدع للإحسان موضعًا، وسَبَق حتى جاء مَن خَلْفه له تبعًا= جعلتُ (٢) كتابَه من أفضل الزاد، واتخذته ذخيرة ليوم المعاد.

فهذَّبتُه نحو ما هذَّب هو به الأصل، وزدْتُ عليه من الكلام على عللٍ سكت عنها أو لم يكملها (٣)، والتعرُّضِ إلى تصحيح أحاديثَ لم يصححها، والكلامِ على متون مشكلة لم يفتَحْ مقفَلَها، وزيادةِ أحاديثَ صالحةٍ في الباب لم يشر إليها، وبَسْطِ الكلام على مواضع جليلة لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه، فهي جديرة بأن تُثْنى عليها الخناصر، ويُعَضّ عليها بالنواجذ. وإلى الله الرغبةُ أن يجعله خالصًا لوجهه، موجِبًا لمغفرته، وأن ينفع به مَن كَتَبه أو قرأه أو نظر فيه أو استفاد منه. فأنا أبرأ إلى الله من التعصُّب والحميّة، وجَعْلِ سنةِ رسوله ﷺ رافعةً لآراء الرجال، منزَّلة عليها، مَسُوقةً إليها. كما أبرأ إليه من الخطأ والزور والسهو. والله سبحانه عند لسان كلِّ قائل وقلبه، وما توفيقي إلا بالله، وعليه توكَّلت وإليه أُنيب.

خاتمة المجرِّد

تمَّ الكتاب بحمد الله ومنِّه، ورأيتُ في النسخة المنقول منها هذه النسخةُ ما صورته:

قال كاتبه محمد بن أحمد السعودي: هذا آخر ما كتبته مما زاده الشيخ الإمام العلامة الحافظ الحجة إمام الدنيا شمس الدين أبو عبد الله محمد، الشهير بابن قيِّم الجوزيَّة، تغمدَّه الله تعالى بغفرانه، وأسكنه بَحْبُوحة جِنانِه.

ولستُ أدَّعي الإحاطةَ بجميع ما كتبه، بل الغالب والأكثر. وقد سقط منه القليل جدًّا لتعذُّر كتابته، فعساه زاد لفظةً أو لَفَظاتٍ في أثناء كلام، فلم يمكنِّي إفرادُها لاتصالها بكلام كثير للمنذري، ولم يمكن كتْب ذلك الكلام الذي للحافظ المنذري كله، فحذفت الزيادة قصدًا لذلك.

وكلُّ ما كان عليه علامة «م» فهو من كلام المنذري. ولا أذكر من كلام المنذري إلا ما قوي اتصاله بكلام الحافظ ابن القيم، فلم يمكن فهمه إلا بذكره عُقباه.

وكلُّ ما كان عليه «ش» فهو إشارة إلى الشيخ شمس الدين، لأنّ أول لقبه الشين، ولو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لأعلمت له «ق»، إذ هو مشهور بأبيه، ولم أكتب هذا إلا في الجزء الثاني لمّا طال اسمهما وتكرَّر.

وقد تعبتُ في تجريد هذه الزوائد لكني استفدت بها مقصدَين من أعظم المقاصد، أحدهما: مطالعة الكتاب، والثاني: تسهيل هذه الزيادات على الطلاب.

واعْلم أنّ هذا التجريد أفاد أمرًا حسنًا وفضلًا بيِّنًا، وذلك أنّ الناظر في كتاب الحافظ المنذري لا يستغني عمّا زاده عليه الحافظ ابن القيم، والناظر في كلام الحافظ ابن القيم لا يستغني عن كتاب الحافظ المنذري، لأنّ الشيخ ابن القيم لم يكتب في كتابه جميع ما حشّى به الإمام المنذري، بل كثيرًا ما يحذف منه فوائد لا تُعَدّ ولا تُحصَى لكثرتها= فإذا كان عند الإنسان كتاب المنذري وهذا التجريد استغنى به عن طُول النظر في كتاب الحافظ ابن القيم. ثم ولو نظر في كتاب ابن القيم لا يقدر على التمييز بين كلامه وكلام المنذري حتى يقابل البابَين اللذَين ينظر فيهما معًا ــ كما فعل كاتبه ــ فتتبيَّنَ له الزيادة، فيحتاج إلى طول زمان والعمرُ قصير، والشغل كثير، والأجل في مسير!

<u>خاتمة المصنف</u>

ثم إنّ الإمام الحافظ أبا عبد الله محمدًا شمس الدين ختم كتابَه بألفاظ تروق الأسماع والأبصار، ويحصل بها لناظرها وسامعها اتِّعاظ واعتبار، فقال:

«ووقع الفراغ منه في الحِجْر ــ شرَّفه الله تعالى ــ تحت مِيزاب الرحمة في بيت الله، آخرَ شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وكان ابتداؤه في رجب من السنة المذكورة.

وتضرَّع كاتبه إلى الله تعالى في بيته أن يجعله زادًا له ولإخوانه من أهل السنة إلى جنَّته، وبلاغًا له ولهم إلى مرضاته، وعونًا لهم على طاعته، وسببًا لنيل مغفرته ورحمته، وأن يجعلهم من المؤتَمِّين به، المقدِّمين له على غيره، المحكِّمين له المتحاكِمين إليه عند التنازع، التاركين غيرَه له، ولا يجعلهم من التاركين له لغيره، إنّه سميع الدعاء وأهل الرجاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصلى الله على فاتح باب الهُدى ومُخرِج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم وهاديهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي أبان الله به المحجَّة، وأقام به الحجَّة، وأنار به السبيل، وأوضح به الدليل، وهدى به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وأرشد به من الغيّ، وفتح به أعينًا عُميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا، فلم يدَع بابًا من أبواب الهدى والعلم إلا فتحه، ولا مُشكِلًا إلا أوضحه، ولا طريقًا تقرِّب إلى الجنة وتباعد من النار إلا بيَّنها، وأرشد أمَّته إليها ودلَّهم عليها، فاستغنى به الموفَّقون المهديُّون من أمته عن كل ما سواه، ولم يكن بهم إلى أحد سواه حاجة، ومن جاءهم بشيء من العلم عرضوه على قوله وسنته، فإن زكّاه

قبِلوه وارتضَوه، وإن لم يزكِّه اطَّرحوه وتركوه، فهم الأغنياء به، المفتقرون إلى ما جاء به أشدَّ من افتقار الجسد والروح إلى حياتها، قد انتسبوا إليه وإلى سنته بأقرب نسب، وتمسكّوا منها بأقوى سبب.

غيرُهم في هذا النسب دعِيٌّ زَنِيم، ومن التعلُّق بهذا السبب عديم؛ قد استمسك من الباطل بغير العروة الوثقى، وهبط به إلى الحضيض الأدنى من حيث ظنَّ أنه يصعد به ويرقى؛ قد أنفق أنفاسه وأوقاته في غير زاد، ووصل صِفر اليدَين مُزْجَى البضاعة إلى المعاد، طاف عمرَه في أبواب الآراء والمذاهب، ففاز منها بأدنى المراتب وأخس المطالب؛ لم تثبت قدمُه في العلم حيث ثبتت أقدام الراسخين، ولا نفَذت بصيرتُه إلى حيث نفَذت بصائر المستبصرين، ولا أحسن ظنًّا بغيره ممَّن هو على خلاف قوله من الأئمة المجتهدين، بل أحسن الظنَّ بنفسه وبطائفته من المقلِّدين؛ فتولَّد من بين ذلك الخُذلان والحِرمان، والحميَّة والعصبيَّة لأقوال وآراءٍ ما أنزل الله بها من سلطان؛ فيا له من سعيٍ ضائع، وعلمٍ غير نافع؛ ستبدو له حقيقته إذا بُعثِر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور؛ وانجلى الغبار، وعُرِف أفرسٌ تحته أم حِمار؛ وبالله المستعان وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم».

فرغ مجرِّده من تجريده يوم الأربعاء النصف من شهر ربيعٍ الأول سنة تسعين وسبعمائة، ختم الله له بالحسنى وزيادة، آمين. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وكاتبه يلتمس من إخوانه المؤمنين أن يدعوا له بالموت على الإسلام والسنة، وبعد موته بالرحمة والرضوان.

* * *